مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 921 – 932
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

تحقيق حادثة حرق طارق بن زياد لجثث الأسرى في فتح الأندلس

An Investigation of the incident of Tariq Bin Ziyad's burning of the prisoners in his conquest of Andalusia

طالب دكتوراه صالحي جلول[1] د/ عبد الباسط دردور
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر تاريخها، مصادرها، أعلامها
djelloul.salhi@univ-batna.dz bassetderdour@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/12 تاريخ القبول: 2021/10/03

الملخص:
هذا المقال هو عبارة عن تحقيق في حادثة تنسب إلى أحد قادة المسلمين الكبار وهو طارق بن زياد فاتح الأندلس مفادها أنه قتل الأسرى ثم أحرق جثثهم، وهي غير مستفيضة، وذكرت في ثلاثة مصادر متقدمة فقط، وقد خلص المقال إلى إبطال هذه الحادثة من ناحيتين سندها ومتنها.
الكلمات المفتاحية: طارق بن زياد؛ جثث الأسرى؛ حرق.

Abstract:
This article is an investigation into an incident attributed to a Muslim commander, Ṭāriq ibn Ziyād the Conqueror of Al-Andalus, according to which he killed the prisoners of war and then burned their corpses, which are not exhaustive.This incident was mentioned in the three previous sources, and the article concluded that this incident was nullified in two ways, sanad and matan.
Key words: Ṭāriq ibn Ziyād; the corpses of the war prisoners; burned.

مقدمة:

مصادر التاريخ الإسلامي الأصيلة غنية جدا بما تحمله من أخبار وروايات كثيرة عن الماضين وعن الدول والأمم والرسل والملوك والطوائف والأديان والحروب وبما تحمله عن الأرض وجبالها وأوديتها وأنهارها ووصف المخلوقات التي تعمرها، وبما تحمله من كم كبير من العلوم الأخرى المادية كالفلك والفيزياء والطب وغيرها، والأدبية كالشعر والقطع النثرية الرائعة والنحو والبلاغة وغيرها، ولكن وربما بسبب كثرة هذه الموارد جعلت من كتب التاريخ أن يروي أصحابها القصة ونقيضها أحيانا وهي أي كتب التاريخ لا تخلوا من الغرائب والأساطير والخوارق، كما أنها لا تخلوا من سرد الواقع ونثر الحقائق، وفي هذا المعنى يقول سيد قطب عن كتب التاريخ العربية الإسلامية: [فهي نَثَّار من الحوادث والوقائع والحكايات والأحاديث والنتف والملح والخرافات والأساطير والروايات المتضاربة والأقوال المتعارضة على كل حال، وإن كانت بعد ذلك كله غنية كمصدر تاريخي بالمواد الخامة التي تسعف من يريد الدراسة ويوهب الصبر ويحاول الغربلة][1]، ولذلك إذا وقعت أنظارنا على ما يريب في تاريخنا فالأولى بنا فحص ذلك لا محاولة

[1]- المرسل المؤلف.

تبريره، قال الألباني: [وقد يظن بعضهم أنَّ كلّ ما يروى في كتب التاريخ والسيرة أنَّ ذلك صارَ جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي، لا يجوز إنكار شيء منه! وهذا جهلٌ فاضح، وتنكرٌ بالغ للتاريخ الإسلامي الرائع، الذي يتميز عن تواريخ الأُمم الأخرى؛ بأنه -هو وحده- الذي يملك الوسيلة العلمية لتمييز ما صح منه مما لم يصح، وهي نفس الوسيلة التي يُميَّز بها الحديث الصحيح من الضعيف...، ولذلك لما فقدت الأمم الأُخرى هذه الوسيلة العظمى، امتلأ تاريخها بالسخافات والخرافات][2].

بيان أهمية موضوع البحث:

تكمن أهمية هذا الموضوع في محاولةٍ ضمن كثير من المحاولات في تنقية التاريخ الإسلامي من شوائبٍ كثيرة علقت به طيلة فترات تدوينه على مَرِّ الأزمنة والأمكنة، إذ لا بُدَّ من الوقوف عند الروايات التي تعج بها بطون الكتب ليؤخذ ما ثبت ويرفض ما لم يثبت ويُبْطَلَ، وهذه الرواية "رواية موضوعنا" وجدت في كتب التاريخ الإسلامي، لكن لا يعني وجودها صحتها.

إشكالية البحث وأسئلته:

كثيرا ما نتصادم مع حوادث تاريخية مبثوثة في المصادر الإسلامية غير أنها ليست صحيحة، لكن قد يستغلها بعض الأعداء ليلزموا بها المؤرخين المسلمين، أو ليشوهوا بها صورة الإسلام، فيقال حينئذ أثبت العرش ثم انقش، لأن القصة غير الثابتة لا تصلح حجة علينا.

المبحث الأول: مصادر القصة "الرواة، والمتون"، من المتقدمين:

المطلب الأول: الرواة من المتقدمين:

ظهرت هذه الرواية مبكرة في المدرسة المصرية وهي مدرسة ابن عبد الحكم وعلى يده ظهرت الرواية كما سنرى، كما أن هذه الرواية لم تستفض في كتب التاريخ المتقدمة، فقد ظهرت في مراجع محدودة جدا، وحسب الاستقصاء فهذه أهم المصادر التي ذكرتها وهي ثلاثة فقط:

أول من ذكرها حسب ما اطلعت عليه من مصادر في شأن الأندلس هو المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، في كتابه "فتوح مصر والمغرب"[3].

ثم يليه - فيما أعلم- المؤرخ أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت 367هـ) في كتابه تاريخ افتتاح الأندلس[4].

وذكرها أيضا عبد الملك بن محمد التوزري المعروف بابن الكردبوس (كان حيا في عام 575هـ) في كتابه الاكتفاء في أخبار الخلفاء[5].

وأشار إليها أيضا شهاب الدين المقري التلمساني (ت: 1041هـ) في كتابه "نفح الطيب"[6].

المطلب الثاني: متون القصة كما ذكرت عن المتقدمين:

في هذا المطلب سأوثق المواضع التي ذكرت القصة كما هي دون تصرف، إذن هذه هي متون القصة كما يلي:

متن "نص" ابن عبد الحكم: قال: [وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة، وجدوا بها كرّامين، ولم يكن بها غيرهم، فأخذوهم، ثم عمدا إلى رجل من الكرّامين فذبحوه، ثم عضّوه وطبخوه، ومن بقى من أصحابه ينظرون، وقد كانوا طبخوا لحما في قدور أخر، فلما أدركت طرحوا ما كان طبخوه من لحم ذلك الرجل، ولا يعلم بطرحهم له، وأكلوا اللحم الذي كانوا طبخوه، ومن بقى من الكرّامين ينظرون إليهم، فلم

يشكّوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم، ثم أرسلوا من بقى منهم، فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس، وأخبروهم بما صنع بالكرّام][7].

متن "نص" ابن القوطية: قال: [فلما جاوز طارق وصار بعُدوة الأندلس وكان أول ما افتتحه مدينة قرطاجنة[8] بكورة الجزيرة فأمر أصحابه بتقطيع من قتلوه من الأُسَراء وطبخ لحومهم بالقدور][9].

متن "نص" ابن الكردوس: قال: [ورحل لذريق[10] قاصداً قرطبة يريد طارقاً، فلما تدانَيا، تخَيَّر لذريقُ رجلاً شجاعاً عارفاً بالحروب ومكائدها، وأمرَه أن يدخل في عسكر طارق فيرى صفاتهم وهيئاتهم، فمضى حتى دخل في محلة المسلمين، فأحس به طارق فأمر ببعض القتلى أن تقطع لحومهم وتُطبخ، فأخذ الناس القتلى فقطعوا لحومهم وطبخوها، ولم يشك رسولُ لذريق في أنهم يأكلونها. فلما جَنَّ الليلُ أمر طارق بهرق تلك اللحوم ودفنها، وذبْحِ بقرٍ وغنمٍ وجعل لحومها في تلك القدور. وأصبح الناس فنُودي فيهم بالاجتماع إلى الطعام فأكلوا عنده، ورسول لذريق يأكل معهم. فلما فرغوا انصرف الرسول إلى لذريق، وقال له: أتتك أمة تأكل لحوم الموتى من بني آدم، صفاتهم الصفات التي وجدناها في البيت المقفل][11].

متن "نص" المقري: وذكر في النفح إشارة أخرى بإرسال لذريق جاسوسا له يقص له الأخبار اسمه "تدمير"، فقال: [كان لذريق ملك الأندلس استخلف عليها شخصاً يقال له تدمير، وإليه تنسب تدمير بالأندلس، فلمّا نزل طارق من الجبل كتب تدمير إلى لذريق: إنّه قد نزل بأرضنا قومٌ لا ندري أمن السماء هم أم من الأرض][12].

أما ابن خلكان[13] فقد ذكر أن لذريق كان قد استخلف "تُدمير" على مرسية وخرج إلى بعض غزواته، ولم يكن قد بعثه إلى جند طارق وهذا نصه: [وكان لذريق المذكور قد قصد عدواً له، واستخلف في المملكة شخصاً يقال له تدمير، وإلى هذا الشخص تنتسب بلاد تدمير بالأندلس وهي مرسية وما والاها، وهي خمس مواضع تسمى بهذا الاسم، واستولى الفرنج على مرسية سنة اثنتين وخمسين وستمائة فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير إلى لذريق الملك إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الأرض، فلما بلغ ذلك لذريق رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس][14].

وهذا يؤيده ما جاء عند ابن قتيبة في الإمامة والسياسة وهذا نصه: [وقد كان لذريق قد غزا عدوا يقال له البشكنس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب إلى لذريق إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من الأرض نبعوا][15].

لكن هذه إشارة فقط بإرسال الجاسوس ولم يرد عند المقري وابن قتيبة ما هو صريح في حرق الجثث.

وقد ذكر هذه الإشارة عبد العزيز سالم في كتابه "تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط قرطبة"[16].

المطلب الثالث: أصحاب الرواية في ميزان الجرح والتعديل:

ابن عبد الحكم:

ترجمته: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم: مؤرخ من أهل العلم بالحديث مصري المولد والوفاة، من كتبه فتوح مصر والمغرب والأندلس وهو ابن عبد الله الفقيه صاحب سيرة عمر بن عبد العزيز[17]. قال أبو الحسن بن قديد توفي في محرم سنة سبع وخمسين ومائتين وسنة نحو السبعين[18].

الذين روى عنهم: روى عن جملة من العلماء منهم أبوه وشعيب بن الليث وشعيب بن يحيى التجيبي وأشهب وأسد بن موسى وإسحاق بن بكر ابن مضر والحصيب بن ناصح وسعيد بن أبي مريم وأبي صالح كاتب الليث وسعيد بن عفير وسعيد بن تليد وعلي بن معبد الرقي والنضر بن عبد الجبار وأبي زرعة وهب

الله بن راشد وجماعة وعنه النسائي وأبو حاتم وعلي بن أحمد علان وإبراهيم بن يوسف الهسنجاني وعمرو بن أبي الطاهر بن السرح ومكحول البيروتي وأبو بكر الباغندي وأبو بكر بن أبي داود وعلي بن الحسن بن قديد وآخرون[19].

أقوال العلماء فيه: قال أبو حاتم صدوق وقال النسائي لا بأس به وقال ابن يونس كان فقيها والأغلب عليه الحديث والأخبار وكان ثقة، قلت وذكره ابن حبان في الثقات، وقال القضاعي كان من أهل الحديث عالما بالتواريخ صنف تاريخ مصر وغيره[20].

ابن القوطية:

ترجمته: محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي، أبو بكر، المعروف بابن القوطية، مؤرخ، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب، أصله من إشبيلية[21]، ومولده ووفاته بقرطبة[22].

سمع بإشبيلة من حسن بن الزبيدي وغيره وبقرطبة من محمد بن مغيث وأسلم بن عبد العزيز وغيرهما وتقدم في فن الأدب، له مشاركة قوية في الفقه والحديث أثنى عليه بن الحذاء وابن عبد البر وغيرهما[23].

أقوال العلماء فيه:

وقال ابن الفرضي: [لم يكن بالضابط لروايته في الحديث ولا له أصول وكثيرا ما كان يقرأ عليه مالا رواية له به على سبيل التصحيح، قال وكانت فيه غفلة وسلامة وذكر أنه كان يدلس في حديثه][24].

وقال ابن خلكان في ترجمته: [وكان حافظا للفقه والحديث والأخبار ولم يكن بالضابط مات سنة سبع وستين وثلاث مائة وقد أضر][25].

قال المؤرخ محمود شاكر: متَّهَم بالشعوبية وإعطاء صفات للقوط[26] تفوق صفات غيرهم من الشعوب[27].

ابن الكردبوس:

ترجمته: عبد الملك بن قاسم ابن الكردبوس التوزري، ابن مروان: مؤرخ، نسبته إلى "توزر[28]" بتونس صنف "الاكتفاء في أخبار الخلفاء"[29].

ولد بتوزر بتونس، ورحل إلى الإسكندرية لطلب العلم فسمع من علمائها، ولقي بها الحافظ أبو طاهر السِّلَفي[30].

ذكر ابن الأبار، أنه سمع الموطأ من محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي من أهل فاس[31].

وذكر أيضا أنه سمع كتاب القربة لابن بشكوال من عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب من أهل قرطبة[32].

أقوال العلماء فيه: لم أهتد إلى كلام العلماء فيه، لكن وجدت إشارتين واحدة ذكرها المؤرخ عبد الحليم عويس، يقول فيها: [أنه كان مجرحا، وأنه لم يكن ثقة في كثير مما يكتبه وربما كان يعتمد على الأقوال الشائعة التي تشبه الحكايات والأساطير في عهده][33].

والرواية الأخرى للمؤرخ محمود شاكر قال فيها: [مولع بإيراد الغرائب والقصص المنسوجة من الخيال][34].

المبحث الثاني: تحقيق القصة

ما يَرِدُ في التاريخ من روايات ليس شرعا أو قرآنا منزلا يقابل بالتسليم ولا يناقش ولا ينتقد، خاصة إذا كانت تلك الرواية تخالف حكما شرعيا ثابتا، ولهذا جاء المبحث الثاني ليلقي نظرة فاحصة في هذه الرواية القائلة بأن طارق بن زياد عمد إلى الأسرى فقتلهم وطبخ لحمهم، وفي غفلة من جواسيس لذريق استبدل

اللحم بآخر من الطيب المباح "غنم وبقر" أو "غنم وإبل"، وأمر جنوده بالأكل منها، في حضرة جواسيس لذريق، فلم يشك جواسيس لذريق بأنهم يأكلون لحوم البشر فداخلهم رعب شديد.

المطلب الأول: ظهورها، رواتها، ومدى موافقتها للشريعة الإسلامية

الفرع الأول: ظهورها

القصة على كل حال ظهرت مبكرا وفي كتاب ابن الحكم وهو ثقة، ولكن القصة غير مسندة، رغم أن عادة ابن الحكم إسناد الحوادث التي يرويها ذلك أنه كان من المحدثين المشتغلين بالحديث غير أنه غلب عليه العناية بالتاريخ والأخبار أكثر وهو مصري المولد والوفاة.

ثم ظهرت القصة عند ابن القوطية الأندلسي وهو في الزمن بعيد من ابن الحكم إذ بين وفاة الأول ووفاة الثاني مئة عام تامة، ويليهما ابن الكردبوس التونسي، ومن ثم نقلت إلى المصادر الأخرى.

فهؤلاء الثلاثة ينتمون إلى عصور مختلفة وإن كانت في مجملها تعتبر من العصور الأولى في التاريخ الإسلامي، فابن الحكم توفي عام 257هـ، وابن القوطية توفي عام 367هـ، وابن الكردبوس توفي عام 575هـ، لكن الملاحظة الواضحة هي أنه بينهم مدد متفاوتة، بما يوحي أنه لم يأخذ الواحد منهم من الآخر خلال حياته، بل أخذ فقط من كتابه، وهذا يعني أن الروايةَ قد يكون مصدرها واحدًا.

الفرع الثاني: رواتها

إذا استثنيا ابن الحكم فإن رواة القصة عند أهل الحديث غير موَثَّقين، لكن يرد علينا هنا إشكال آخر وهو أن هذه القصة ليست من قبيل الحديث النبوي، ومعلوم أن التاريخ يُتَسامح فيه ما لا يتسامح في الحديث النبوي، فإذا قبلناها من جهة رواتها بعدم اتهامهم بتعمد وضعها - وهذا وارد ومنطقي- فإنه يكون لدينا بعدها احتمالين هما:

- أنهما أُتِيَا من جهة من رووها عنه أو ممن سمعوها منه وهنا تكون العهدة على الراوي الأول وهو هنا أيضا مجهول الحال والعين.
- وأما الاحتمال الثاني فهو دراستها من جهة متنها فالنكارة والغرابة موجودة في المتن أيضا مثلما وجدت الجهالة والاضطراب في السند.

وبالتالي فهي من جهة السند واهية ولا يعول على رواتها.

وأما من جهة متنها ففيها مخالفة ظاهرة لحكم الشريعة الإسلامية وهذا هو ما سيبين في الفرع القادم.

الفرع الثالث: مدى موافقتها للشريعة

بعد أن رأينا سندها فإنه لا بدَّ من عرضها على الأحكام الشرعية هل توافق ذلك أم لا؟

ذكر الفقهاء في حكم معاملة الأسرى عدة أحكام، وكذلك في معاملة جثث القتلى، وهذه هي مختصرة:

أولا- حكم الأسرى:

ذهب الإمام مالك رحمه الله وجمهور أهل العلم إلى أن الإمام - الحاكم أو نائبه- مخير في الأسرى بين خمسة أشياء: إما أن يقتل، وإما أن يأسر ويستعبد، وإما أن يمن فيعتق، وإما أن يأخذ فيه الفداء، وإما أن يعقد عليه الذمة ويضرب عليه الجزية[35].

وهذا ليس في جميع الأسرى بل هو مخصوص بالأسرى المقاتلة، قال النفراوي: [وهذا في الأسرى المقاتِلة، وأما الذراري والنساء فليس إلا الاسترقاق أو المفاداة][36].

ومنه يقال أن الأسرى الذين أسرهم طارق كانوا مقاتِلة، وهنا زال الإشكال في حكم قتلهم لأن القيادة لطارق وهو من يملك الحكم عليهم بأحد الأحكام الخمسة التي نص عليها المالكية وغيرهم.

ولْنَنتقل إلى الإشكال الثاني والذي هو بيت القصيد ومربط الفرس - كما يقال-.

ثانيا: حكم معاملة جثث الأسرى

وفي جملة ما يحرم في الحرب بين المسلمين والكافرين كما قال خليل - من علماء المالكية- في المختصر، قال مبينا جملة ما يحرم في الحرب: [والمُثْلَةُ][37].

قال الخرشي شارح مختصر خليل: [يعني أن المُثْلة وهي النَّكال عند القدرة على الكافر حرام علينا لنهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك، وأما قبل الظَّفَر عليه فيجوز لنا أن نقتله بأي وجه من وجوه القتل][38].

وقال الدردير - من علماء المالكية – مبينا حكم المُثلة: [وحَرُمَ بعدَ القدرة عليهم المثلة العقوبة الشنيعة كرَضِّ الرأس، وقطع الأذن أو الأنف إذا لم يمثلوا بمسلم، وإلا جاز][39].

إذن يتبين لنا أن المثلة والتنكيل بجثة الأسير بعد قتله محرمة، وهذا الحكم يشمل أيضا المحارب الذي قتل في المعركة فإنه لا يمثل به ومن بابِ أولى تقطيعه أو تحريقه أو طبخ لحمه، وهذا لعموم حديث رسول الله ﷺ الذي هو نص في النهي عن التمثيل بالجثث: [نهى النبي ﷺ عن النهبى[40]، والمثلة][41].

وهؤلاء المأسورين في القصة قَدَرَ عليهم طارق فلم يَجُز له النكال بهم من هذه الجهة، وهؤلاء المأسورين من جهة ثانية لم يمثِّلوا بقتلى المسلمين لأن المعركة الكبرى لم تقع بعد[42]، فلم يجز لطارق أيضا أن يمثل بهم فيما يسمى بالمعاملة بالمثل.

المطلب الثاني: إبطالها "سندا ومتنا"

الفرع الأول: بطلانها من حيث السند ومن حيث المتن ومن جهة مخالفتها لأحكام الأسرى

ذهب إلى القول ببطلانها عدد من المؤرخين، ولم تذكرها الغالبية الساحقة من المؤرخين الذين كتبوا في التاريخ الأندلسي خاصة المتأخرين، ولم يتمسك بها إلا بعض المستشرقين في كتاباتهم عن تاريخ فتح الأندلس.

وهذه أهم النقولات في إبطال هذه القصة:

يقول عبد الحليم عويس: [وبديهي أن هذه القصة لم تقع][43]، وليس هذا القول مجرد رأي أو ميل بل هو مبني على معطيات تاريخية ودينية.

وأهملها المؤرخ حسين مؤنس كما في كتابه فجر الأندلس، وكذلك أغفلها المؤرخ محمد عبد الله عنان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس، وكذا المؤرخ أحمد مختار العبادي، في كتابه المسمى في تاريخ المغرب والأندلس، وضربت الصفح عنها كل من موسوعة التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، وموسوعة التاريخ الإسلامي لمجموعة من المؤرخين (الكعبي وغيره)، وموسوعة التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي والموسوعة التاريخية لمجموعة من الباحثين بإشراف السقاف.

وللمؤرخ محمود شاكر كلمة سجلها في موقع سطور وغيره، مفيدة جدا في إبطال هذه القصة من أساسها.

الفرع الثاني: القصة محتملة للتأويل مع تأويلها ووضعها في إطارها الصحيح

هذه القصة محتملة للتأويل هذا إن تُنُزِّل وقيل بحدوثها، وما دام التأويل سائغا فإن مثل هذه القصص حين تكون صحيحة تحمل على أحسن وجه وأكمل صورة لا العكس، ولهذا سنبين في هذا الفرع الاحتمالات التي تتحملها هذه القصة مع وضعها في الاحتمال المناسب منها -أي من تلك الاحتمالات-.

والذي يظهر والله أعلم أن هذه القصة لها احتمال واحد مفاده أن طارق لما أحس بعيون لذريق في جيشه، أراد أن يبث الرعب في قلوبهم ولينقلوا الخبر إلى لذريق حين عودتهم والمعنى أنها حيلة عسكرية حربية بحتة وأن الأسرى لم تقطع لحومهم ولم تطبخ أبدا وإنما قتل من قتل وبقي في الأسر من بقي، وتظاهر

طارق بأنه طبخ لحومهم وما هي في الحقيقة إلا لحوم بقر وغنم وظن جواسيس لذريق أنهم الأسرى وهكذا تم لطارق بث الرعب في قلوب الأعداء، وهذا نَقْلٌ من المؤرخ عبد الحليم عويس يؤيد ذلك فقد قال: [إنما هي حيلة من طارق بن زياد في تحطيم الروح المعنوية للخصم إذ إنه أراد أن ينقل هذه الصورة عن طريق الجواسيس الذين كان يعلم بوجودهم][44].

وقال أيضا: [الحرب تقوم على الخدعة يباح فيها مثل هذا اللون من الخداع وغيره][45].

وغاية ما يمكن أن تدل عليه هو أنه تظاهُرٌ من طارق فقط بحرق جثث الأسرى، لا أنه أحرقها حقيقة، فهو تظاهر منه لإخافة العدو، ونقل صورة تدل على أنه قادر على خوض الحرب، وليس خائفا منها أو مترددا فيها.

ولذلك فإنها على فرض صحتها لن تكون إلا من هذا القبيل.

والحقيقة التي ينبِؤ عنها سند القصة ومتنها أنها باطلة لا تصح، وإن ظهرت في ثلاثة مصادر من كتب التاريخ الإسلامي القديمة.

ولهذا قال محمود شاكر: إن هذه القصة قد وردت إلينا عن طريق غير ثقة إذ ذكرها ابن القوطية وعنه نقلها بعض المؤرخين، وإن هذه القصة وأمثالها سواء اتُّخِذَت وسيلة للحيلة وإلقاء الرعب في نفوس الأعداء أم لغيره فإنها لا تصح، لأن تقطيع لحوم الموتى والعبث فيها إنما هو نوع من المُثْلة وهو لا يصح في ديننا إذ نهى رسول الله ﷺ عنه.

وقال أيضا موضحا ومبينا: ولم يحدث ما يُشير من قريب أو من بعيد عن وقوع القصة...، ووصلت إلينا عن طريق غير الثقاة، فالحادثة مختَلَقَة لا صحة لها أبدًا[46].

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه من الكلام حول نقلة الرواية، ومن خلال كلام المؤرخين المعاصرين حول الرواية نفسها يتبين لنا عدة أحكام يمكن إجمالها في ما يلي:

- أن القصة باطلة لا تصح نسبتها لا إلى طارق بن زياد ولا إلى غيره من القادة المسلمين.
- أن القصة لو حدثت لاستفاضت واشتهرت في كتب التاريخ
- رواة القصة من المؤرخين - ابن القوطية وابن الكردبوس كانا غير موَثَّقَيْن من علماء الحديث-، وهذا إسنادا.
- القصة مخالفة لأحكام معاملة الأسرى في الشريعة الإسلامية، وليس طارق رحمه الله بما معه من أهل العلم بالذي يخفى عليه هذه الأحكام وقد عرف بالتقوى والالتزام التام بأحكام الشرع.
- القوط وقائدهم كانوا على معرفة تامة بالمسلمين وبأخلاقهم طيلة حروبهم في شمال إفريقيا فليس هناك داع لإرسال جاسوس يأتي بأخبارهم.
- فضلا عن أن الجاسوس هذا مجهول الحال والأغرب أن من فطن له هو طارق فقط بينما الآخرون لم يتفطنوا، قال شاكر: يستبعد أن يكون من القوط، لأنه لا يمكن أن يدخل إنسان عسكراً لا يعرف لغتهم، ولا يطَّلع على أوضاعهم، ويجلس ليأكل معهم في الصباح، ولم ينتبه أحد إليه، إذ لم ينتبه إلا القائد[47].
- لو كانت القصة صحيحةً لكانت مخالفة واضحة من القائد طارق، ولضجّ بها الجند، ووصلت إلى القيادة بل وإلى أمير المؤمنين، ولسُئِل طارق وحوسب، ونال ما يستحق من عقوبة على هذه المخالفة لتعاليم الإسلام -إذ ليس غريباً أن تقع مخالفة أو يرتكب قائد خطأ فهو ليس بمعصوم-، غير أنه لم يتكلم أحد في هذه القصة ممن كان في جنده، أو من الثقات في ذلك العصر[48].

- طارق بن زياد رحمه الله عرف عنه من خلال الأخبار التي دونتها كتب التاريخ، ومن خلال سيرته التي اشتهرت بين القادة المسلمين، أنه من أشد القادة ورعا وتقوى، وأنه من أحسن الناس معاملة للعدو فضلا عن الصديق، ولذلك فإن نسبة هذه القصة إليه وهي رواية مطعون في ناقليها تخالف ما اشتهر عنه من ورع وزهد وتقوى وحسن معاملة للأعداء، وبالتالي فيقال حينئذ أنها ضعيفة لأنها رواية من طريق مغمورة، مقابل الروايات المستفيضة المشهورة، في تقوى طارق وحسن معاملته للخصم.
- كذلك القادة المشهورين والفاعلين في التاريخ الإسلامي وخاصة أصحاب الفتوحات الكبيرة والحاسمة في تاريخ المسلمين، تعرضوا للتشويه من قبل كتابات وتأريخ الخصوم، ولا يُشك أن البحث عن مثل هذه القصص لإخراجها وإلصاقها بأمثالهم -أي هؤلاء القادة- أمر مقصود ولا يشك أيضا أن طارقا واحد من هؤلاء الكبار المدونة أسماؤهم بأحرف من ذهب في سجل تاريخ الإسلام العظيم.
- التمثيل بالجثث لم يكن من خلق المشركين في الجاهلية، فكيف يكون من خلق المسلمين في الإسلام، خاصة ونحن نتكلم عن القرون الأولى التي كان الإسلام فيها مطبقا، وتعاليمه ظاهرة يلتزم بها القادة والجيوش والعامة على حد سواء.

وعليه إذن فالقصة باطلة من أساسها، ولم تصح عن طارق بن زياد رحمه الله أبدا، والله أعلم.

قائمة المصادر:

1- أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت: 1126هـ)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر،دون طبعة، سنة: 1415هـ، 1995م.

2- أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت: 367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط:2، 1410هـ، 1989م.

3- خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (ت: 776هـ)، مختصر خليل، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط:1، 1426هـ/2005م.

4- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م، 313/3.

5- محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: 1230هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، ط: دون طبعة ودون تاريخ، 179/2.

6- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:1، 1422هـ.

7- محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، (ت: 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ط: 1415هـ- 1995م.

8- محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت: 1101هـ)، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط: دون طبعة، ودون تاريخ.

9- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان (ت: 1406هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: جـ1، 2، 5/ الرابعة، 1417هـ- 1997م، جـ3، 4/ الثانية، 1411هـ - 1990م.

10- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:1، 1405هـ، 1985م.

11- ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1.

12- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبع مجزأ ، ج1، 2، 3، 6 ط: 1990، ج4 ط:1 سنة 1971، ج5، 7 ط:1 سنة 1994.
13- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: 1415هـ.
14- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط: 2010م.
15- عبد الملك ابن الكردبوس، الإكتفا في أخبار الخلفا، تح صالح بن عبد الله الغامدي، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1429ه، 2008م.
16- عبد الملك ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط "نصان جديدان"، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ط1971م.
17- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط:1، 1326هـ
18- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، لسان الميزان، تح: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط:2، 1390هـ /1971م.
19- ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، الإمامة والسياسة "المعرف بتاريخ الخلفاء"، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط: 1410هـ، 1990هـ.
20- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط قرطبة، دار المعارف لبنان، د ط.
21- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، مصر، ط:6، 1403هـ، 1983م.
22- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان ص. ب 10، ط:1، 1968.
23- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: 520هـ)، المقدمات الممهدات، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1408هـ، 1988م.

المواقع والروابط الإلكترونية:

مقال: "المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي"، محمود شاكر، عن موقع الفسطاط، على الرابط: https://udefense.info/threads/، نقلا عن منتدى التحالف لعلوم الدفاع، تاريخ الدخول: 2021/03/28، الساعة: 11:53 مساء.

الهوامش:

[1]- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، مصر، ط:6، 1403هـ، 1983م، ص42.

[2]- ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، مكتبة المعارف، 331/5.

[3]- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: 1415هـ، ص234.

[4]- أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت: 367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط:2، 1410هـ، 1989م، ص35.

[5]- عبد الملك ابن الكردبوس، الإكتفا في أخبار الخلفا، تح صالح بن عبد الله الغامدي، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1429ه، 2008م، ص1010.

[6]- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان ص. ب 10، ط:1، 1968، 240/1

[7]- ابن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، ص234

[8]- يحمل هذا الاسم "قرطاجنة" ثلاث مدن كما في الروض المعطار، ص462، وهي هنا المدينة الاسبانية الساحلية التي تقع في منطقة مرسية جنوب شرق إسبانيا وتنطق بالاسبانية "كارتاخينا".

[9]- أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط:2، 1410هـ، 1989م، ص35.

[10]- هو آخر ملوك القوط في اسبانيا، قتل على يد طارق بن زياد، حكم بين 710 و 712م، وبالاسبانية يقال "رودريكو".

[11]- عبد الملك ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط "نصان جديدان"، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ط1971م، ص46 و47،

[12]- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 240/1.

[13]- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكيّ الإربلي، ولد في إربل (608/ 681هـ، 1211/ 1282م) مؤرخ حجة، وأديب ماهر، صاحب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما، أنظر الأعلام للزركلي، 220/1.

[14]- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبع مجزأ، ج1، 2، 3، 6 ط: 1990، ج4 ط:1 سنة 1971، ج5، 7 ط:1 سنة 1994، 321/5

[15]- ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، الإمامة والسياسة "المعرف بتاريخ الخلفاء"، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط: 1410هـ، 1990هـ، 86/2، 87.

[16]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط قرطبة، دار المعارف لبنان، د ط، ص75.

[17]- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م، 313/3.

[18]- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ، 208/6.

[19]- ابن حجر، تهذيب التهذيب، 208/6

[20]- ابن حجر، تهذيب التهذيب، 208/6

[21]- مدينة كبيرة عظيمة وتسمى حمص أيضا، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، وإشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشّرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ نهر عظيم قريب في العظم من دجلة أو النيل، وفي كورتها مدن وأقاليم.

[22]- الأعلام، الزركلي (ت: 1396هـ)، 6/**312**

[23]- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تح: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط:2، 1390هـ /1971م، 325/5

[24]- ابن حجر، لسان الميزان، 325/5

[25]- ابن حجر، لسان الميزان، 325/5**.**

[26]- أمة من شعوب شرق أوربا، جرمانيَّة اسكندنافية، يقول المؤرخ المصري محمد عنان: [والقوط هم إحدى هذه القبائل أو الشعوب البربرية. التي هبطت من شمال أوربا، وقوضت صروح الإمبراطورية الرومانية. وتقول الأساطير القديمة إنهم نزحوا من اسكندناوة، وهي رواية يؤيدها كثير من القرائن والشواهد]، دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان (ت: 1406هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: جـ 1، 2، 5/ الرابعة، 1417هـ- 1997م، جـ3، 4/ الثانية، 1411 هـ - 1990 م، 28/1

[27]- مقال: "المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي"، محمود شاكر، عن موقع الفسطاط، على الرابط: https://udefense.info/threads/، نقلا عن منتدى التحالف لعلوم الدفاع، تاريخ الدخول: 2021/03/28، الساعة: 11:53 مساء.

[28]- مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، معمورة، بينها وبين نفطة عشرة فراسخ، وأرضها سبخة، بها نخل كثير وهي مدينة عليها سور مبني بالحجر والطّوب، ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة، وحولها أرباض واسعة، وهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب، كثيرة النخل والبساتين، ولها سواد عظيم، تقع حاليا بتونس.

[29]- الزركلي (ت: 1396هـ)، الأعلام، 312/6

[30]- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:1، 1405هـ، 1985، 158/4.

[31]- محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار (ت: 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ط: 1415هـ- 1995م، 162/2.

[32]- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 109/3.

[33]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط: 2010م، ص113.

[34]- محمود شاكر، المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي، رابطه: https://udefense.info/threads/، مرجع سابق.

[35]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: 520هـ)، المقدمات الممهدات، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1408هـ، 1988م، 365/1.

وانظر: مختصر العلامة خليل، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (ت: 776هـ)، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط:1، 1426هـ/2005مـ، ص89.

[36]- أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت: 1126هـ)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، دون طبعة، سنة: 1415هـ، 1995م، 1/ 398**.**

[37]- خليل بن إسحاق المالكي المصري، مختصر خليل، ص88.

[38]- محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت: 1101هـ)، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط: دون طبعة ودون تاريخ، 115/3**.**

[39]- محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: 1230هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، ط: دون طبعة ودون تاريخ، 179/2.

[40]- أخذ الشيء من أحد عيانا وقهرا.

[41]- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:1، 1422هـ، كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه، 135/3

[42]- وإنما هي مناوشة من فريق استطلاعي أرسله لذريق لجس النبض.

[43]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، ص 121.

[44]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، ص 122.

[45]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، ص 122.

[46]- المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، رابطه: https://udefense.info/threads/، مرجع سابق.

[47]- المرجع نفسه، رابطه: https://udefense.info/threads/

[48]- المرجع نفسه، رابطه: https://udefense.info/threads/.